٤

WWW.ATTAWEEL.COM

أسئلة الكتاب صـ ٢٠

«العراق في رحلة ابن جبير خاصة» ورحلات العرب الاخرى

دراسة
د. علي محسن عيسى مال الله

كلية الشريعة ـ جامعة بغداد

ابن جبير

٥٤٠ ـ ٦١٤هـ

حياته ونشأته :ـ

هو محمد بن احمد بن جبير بن محمد جبير بن سعيد بن عبد السلام بن جبير الكناني الداخل الى الاندلس في محرم سنة ثلاث وعشرين ومائة وكان نزوله بكورة شذونة.[1] وهو من ولد ضمرة ابن كنانة بن بكر بن عبد مناة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، بلنسي[2] نزل ابوه شاطبة[3] ثم استوطن هو جيان،[4] ثم غرناطة، ثم فاس، فالأسكندرية، واقام اثناء ذلك بسبتة[5]، ومالقة[6] وغيرها حسبما اقتضته الاحوال[7] وقد كان ابوه احمد من كتاب شاطبة، ورؤسائها. وله منزلة اجتماعية مرموقة. واراد هذا الاب ان يصوغ ابنه على مثاله فرعاه رعاية تامة. فكان له اول استاذ اخذ منه العلم ثم دفع به الى المعلمين المحترفين[8] نذكر منهم على سبيل المثال ابا الحسن بن محمد بن ابي العيش الذي اخذ عنه القراءات[9] واخذ العربية عن ابي الحجاج بن يبقا بن يسعون، واخذ العلم بسبته عن ابي عبد الله بن عيسى التميمي السبتي. واجاز له ابو الوليد يوسف بن عبد العزيز بن الدباغ[10]. وعندما بلغ ـ ابن جبير ـ السن التي يستطيع فيها ان ينفرد بحياته، ويضطلع باعبائها، احترف الكتابة، فعمل لبعض الامراء من الموحدين الذين كانوا يسيطرون على الاندلس، والمغرب في ذلك الوقت، وكان اشهر من اتصل به ـ ابن جبير ـ هو ابو سعيد عثمان بن عبد المؤمن[11] الذي كان والياً على ولايتي سبتة/وطنجة سنة ٥٤٩ هـ. ولم تقتصر حياة ابن جبير على الكتابة وحدها بل مارس التدريس في فاس فكان منقطاً الى اسماع الحديث، والتصوف وتروية ما عنده[12].

ولما قام برحلاته المعروفة التقى بأكبار العلماء كابن الجوزي في بغداد، وصدر الدين محمد بن عبد اللطيف الخجندي رئيس الشافعية باصبهان، وكثير من العلماء، بمكة/ودمشق، وقد شهدوا له جميعاً بالفضيلة، والعلم[13] اما التلاميذ الذين تأثروا به فهم كثيون، منهم على سبيل المثال لا الحصر احمد بن عبد المؤمن الشريشي، شارح مقامات الحريري في المغرب[14] والحافظان ابو محمد المنذري/وابو الحسين يحيى؛ علي القرشي بالقاهرة، وفخر القضاة بن الجياب/وابنه جمال القضاة في الاسكندرية. ويعد

WWW.ATTAWEEL.COM

جـولاتـه الـطويلة في الاقـطار الاسـلامية التي عصـاه في الاسكندرية، فأقام بها يحدث، ويؤخذ عنه الى ان لحق بربه سنة ٦١٤ هـ.[١٥]

اخلاقه:-

كان ابن جبير على جانب عظيم من المزايا العالية، والخلق الرفيع، فوصفه احدهم، فذكر بانه وكان اديباً، بارعاً، وكاتباً بليغاً، وشاعراً مجيداً، سنياً فاضلاً، نزيه الهمة سري النفس، كريم الاخلاق، انيق الطريقة في الخط.[١٦] وينعته ابن الخطيب فيذكر بانه كان كريم الاخلاق ذا نظم فائق، ونثر بديع، وكلامه مرسل سهل، وتغراضه جليلة، ومحاسنه ضخمة، وذكره شهير وله حكم مستجادة.[١٧]

اما صاحب النفح فيقول:- «كان ابن جبير من اهل المروءات، عاشقاً في قضاء الحوائج، والسعي في حقوق الاخوان، والمبادرة لايناس الغرباء. وفي ذلك يقول ابن جبير عن نفسه:-

يحسبُ النـاسُ بـاني متعبٌ ... في الشفاعات وتكليف الدرى
والـذي يتعبهم في ذاك لي ... راحـة في غيرهـا لن افكرا
وبـودي لو أقضي العمـر في ... خدمة الطلاب حتى في الكرى[١٨]

الحق انه شعور انساني، رجل ينسى ذاته ليذوب في خدمة الناس، وقضاء حوائجهم، حتى يبلغ الحماس عند ابن جبير في اسداء المعروف، والعمل الصالح، وبوده ان يخدم الناس حتى في اوقات النوم. انها نفحة انسانية خالصة، تجاوزت الحدود لتضرب للناس امثالاً رائعة، وعبراً قيمة. لذلك نرى بعض الأدباء المحدثين يصفه بذلك الرجل «الحازم الوقور»[١٩] وكيف لا يكون حازماً، وقوراً، وقد تأدب باداب الاسلام، تشبع بحب الرسول صلى الله عليه وسلم، وصحبه الكرام، والعترة الطاهرة.

نعم لقد كان ابن جبير مؤمناً ناسكاً، متمسكاً بدينه، وعقيدته حتى قيل عنه ان الدعاء «عند قبره مستجاب»[٢٠] وقد «عني بالاداب فبلغ فيها الغاية، وتقدم في صياغة القريض، وصناعة الكتابة، ونال بها دنياً عريضة، ثم رفضها وزهد فيها»[٢١]

وخلاصة القول في ابن جبير وخلقه انه كان رجلاً، دمث الخلق، رفيع المنزلة، نذر نفسه في حب الخير، ومنح الاخرين العطاء الثر، حتى اصبح من الرجال الصالحين الذين يشار اليهم بالبنان، وصار من الابرار، الاخيار الذين سجلت مآثرهم بمداد من ذهب.

وحلاته:-

لقد رحل ابن جبير.

الاولى:- بدأها من غرناطة سنة ٥٧٨ هـ. حيث ادى فريضة الحج سنة تسع وسبعين وخمسمائة، والتقى في الديار المقدسة بنخبة من العلماء، ثم واصل سيره، وبدأ يتنقل من قطر الى اخر حتى وصل الى اصبهان، فالتقى بالعالم الفاضل- محمد عبد اللطيف الخجندي - رئيس لشافعية[٢٢] الذي مر ذكره انفاً. وقد اعجب ابن جبير بخلقه، وبعلمه حتى خاطبه قائلاً:-

يا من حواه الدين في عصره ... صدراً يحل العلم منه الفؤاد
ماذا يرى سيدنا المرتضى ... في زائر يخطب منه الوداد
لاينبغي منه سوى أحرف ... يعتدها اشرف ذخر يُفاد
في رقعة كالصبي أهدى لها ... يد المعالي مسك ليل المداد
اجازة يور ثنيها العلا ... جائزة تبقى وتفنى البلاد
يستصحب الشكر خديماً لها ... والشكر للاجماد اسنى عتاد[٢٣]

فاجابه الصدر الخجندي:-

لك الله من خاطب خلتي ... ومن قابس يجتذي سقط زندي
اجزت له ما أجازوه لي ... وما حدثوه وما صح عندي
وكاتب هذه السطور التي ... تراهن عبد اللطيف الخجندي[٢٤]

لقد طاف ابن جبير طويلاً في هذه الرحلة، وتعرف على كثير من العلماء، والزهاد، الذين مر ذكرهم عند الكلام عن حياته. ثم رجع الى وطنه غرناطة سنة ٥٨١ هـ.[٢٥]

اما الرحلة الثانية: فقد قام بها عندما شاع الخبر المبهج بفتح بيت المقدس، اليها من غرناطة سنة ٥٨٥ هـ ثم آب اليها سنة ٥٨٧ هـ، وسكن غرناطة، ثم مالقة ثم سبتة، ثم فاس، منقطعاً الى اسماع الحديث، والتصوف وتروية ما عنده، وفضله بديع، وورعه يتحقق، واعماله الصالحة تذكر.

اما الرحلة الثالثة:- فقد بدأها من سبتة بعد موت زوجته عاتكة ام المجد بنت الوزير ابي جعفر الوقشي، وكان كلفاً بها. فعظم وجده عليها، فوصل الى مكة، وجاور بها طويلاً ثم بيت المقدس، ثم تحول بمصر، والاسكندرية، فاقام بها طويلاً الى ان

لحق بربه[٦] كما ذكرنا سابقاً.

قلت لقد قام ابن جبير بثلاث رحلات قصد فيها جميعاً الحج. وقد وهب الادب العربي مجموعة من اجمل ما عرف بها ادب الرحلات، ولم يدون ابن جبير اخبار هذه الرحلات في رحلته المعروفة ـ بل اقتصرها على الرحلة الاولى وحدها.

خط الرحلة الأولى:ـ

يحاول الباحث ان يختصر خط رحلته، فلا يذكر الا المدن، وبعض الامكنة التي زارها.

لقد تحرك ركبه من غرناطة في اول ساعة من يوم الخميس لثمان خلون من شوال سنة ٥٧٨ هـ، وبدأ يتجول في المدن الاندلسية حتى وصل الى سبتة. وتُعدُّ سبتة المنطلق الحقيقي لرحلته.

ومن سبتة استقل ابن جبير مركباً اخذ يجوب به عباب البحر ماراً بمدن كثيرة، حتى وصل الى سردانية، وفي سردانية، اصابه اعصار هائل، وبعد تحسن الجو ظهر لهم ساحل صقلية فارسوا فيه. ثم ابحر الركب الى جزيرة اقريطش، ومنها الى مصر فالاسكندرية. وتعدُّ الاسكندرية اول مدينة في رحلته طبق عليها منهجه.

اما المدن، والاماكن السابقة التي مر عليها، فلم يتعرض لها الرجل الا بالتسمية فقط. وقد تكلم عن الاسكندرية، وعن اسواقها، ومنارها، ثم اخذ يتجول في ربوع مصر، فزار القاهرة، وقد طال حديثه عنها. ثم زار قوص، ومنها سلك احد دروب الصحراء الى ان بلغ عيذاب على البحر. وقد اقلع من عيذاب سالكاً طريق البحر حتى وصل الى جُدة، ومنها الى مكة المكرمة، وقد وصفها وصفاً رائعاً، وبعد ان انهى مناسك الحج في مكة، غادرها الى المدينة المنورة، وقد اسهب في وصف المسجد النبوي الشريف. ثم عاود السير مع الركب الى العراق، واول مدينة دخلها من مدن العراق هي مدينة الكوفة، ومن مدن المهمة التي زارها في العراق، الحلة، وبغداد وتكريت، والموصل، وقد افاض في وصف بغداد، فوصف مجالس الوعظ التي شهدها، واعجب بها وذكر معلومات ذات قيمة عن الخلافة العباسية والخلفاء. وبعد ذلك وجه ركبه نحو الشمال، فمر بمنبج، وحلب، وقنسرين، والمعرة، وحماة، وحمص، ودمشق. فقد وصف دمشق، ونعتها بجنة المشرق، وعروس المدن، فقد اولع بها فأفاض في الحديث عنها اكثر من اية مدينة اخرى سوى مكة المكرمة، ثم خرج منها متوجهاً الى عكة، وصور، حيث امتطى مركباً جنوبياً الى الاندلس ـ وقد لاقى من المتاعب، والصعاب، والاهوال، الشيْ الكثير، ماراً بعدة جزر حتى ال به المطاف الى جزيرة صقلية، وقد اطال الحديث عن المسلمين، وعلاقاتهم بالمسيحيين في هذه الجزيرة. ومنها توجه الى الاندلس، واخيراً ادرك قرطاجنة، فهبط بها، ومنها الى غرناطة،[٧] وفي ذلك يقول ابن جبير عند وصوله الى المنزل كان ذلك «يوم الخميس الثاني والعشرين لمحرم، والخامس والعشرين لابريل الى المنزل بغرناطة.

فالقت عصاها واستقر بها النوى كما قرّ عيناً بالاياب المسافرُ

وقال ابن جبير:ـ

«فكانت مدة مقامنا من لدن خروجنا من غرناطة الى وقت ايابنا هذا عاملين كاملين وثلاثة اشهر ونصفاً، والحمد لله رب العالمين»[٨].

ولايسع الباحث الا ان يتصفح رحلته ليقف على مشاهدته في العراق، والمدن التي وصفها.

ـ العراق في رحلة ابن جبير ـ

ولعل اول مدينة مهمة دخلها في العراق هي مدينة الكوفة فوصفها قائلاً:ـ

«هي مدينة كبيرة، عتيقة البناء، قد استولى الخراب على اكثرها، فالغابر منها اكثر من العامر. . . . وبناء هذه المدينة بالاجر خاصة، ولا سور لها، والجامع العتيق اخرها. . . وهو جامع كبير في الجانب القبلي منه خمسة ابلطة وفي سائر الجوانب بلاطان، وهذه البلاطات على اعمدة من السواري الموضوعة من صُمّ الحجارة المنحوتة، قطعة على قطعة، مفرغة بالرصاص، ولا قسي عليها على الصفة التي ذكرناها في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهي في نهاية الطول، متصلة بسقف المسجد، فتحار العيون في تفاوت ارتفاعها، فلا ارى في الارض مسجداً اطول اعمدة منه ولااعلى سقفاً، وبهذا الجامع المكرم اثار كريمة فمنها بيت بازاء المحراب عن يمن المستقبل القبلة يقال: إن كان مصلى ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم وعليه ستر اسود صونا له. . . . ومما يلي الأيمن من القبلة محراب عُلق عليه باعواد الساج

مرتفع عن صحن البلاط كأنه مسجد صغير وهو محراب امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه. . . . وفي الزاوية من اخر هذا البلاط، المتصل باخر البلاط الغربي، شبيه مسجد صغير محلق علية ايضا باعداد الساج هو موضع مغار التنور الذي كان آية لنوح عليه السلام (٣٠)

وفي ظهره خارج المسجد بيته الي كان فيه، وفي ظهره بيت آخر يقال: إنه كان متعبد ادريس صلى الله عليه وسلم. ويتصل بها فضاء متصل بالجدار القبلي من المسجد يقال: إنه منشأ السفينة. ومع اخر هذا الفضاء دار علي بن ابي طالب رضي الله عنه، والبيت الذي غسل فيه، ويتصل به بيت يقال: إنه كان بيت ابنة نوح صلى الله عليه وسلم.

وفي الجهة الشرقية من الجامع بيت صغير يصعد اليه فيه قبر مسلم بن عقيل بن ابي طالب رضي الله عنه، وفي جوفيّ الجامع على بعد منه يسير سقاية كبيرة من الماء الفرات، فيها ثلاثة احواض كبار.

وفي غربي المدينة على مقدار فرسخ منها المشهد الشهير الشأن المنسوب لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه، حيث بركت ناقته وهو محمول عليها مسجى ميتاً. . . ويقال ان قبره فيه ـ وفي هذا المشهد بناء حفيل. . . والفرات من الكوفة على مقدار نصف فرسخ. مما يلي الجانب الشرقي ـ
والجانب الشرقي كله حدائق نخيل ملتفة يتصل سوادها ويمتد امتداد البصر. (٣١)

ومن الرحالين الذين سبقوا ابن جبير ووصفوا هذه المدينة ـ اليعقوبي(٣٢) الذي اشار الى تأسيسها، وتخطيطها، وذكر القبائل العربية التي سكنتها وسمى هذه القبائل بأسمائها، وافخاذها، كما انه ذكر المنازل بينها وبين المدينة المنورة من جهة، ومكة المكرمة من جهة اخرى(٣٣)

اما ابن خرداذبه(٣٤) فقد ذكر الكوفة في كتابه المسالك والممالك في عدة مواضع. وبين المسافات بينها، وبين المدن العراقية من ناحية، والمدن العربية من ناحية اخرى(٣٥) وقد اشار الاصطخري(٣٦) الى مدينة الكوفة بشيء من الايجاز(٣٧)
اما المقدسي(٣٨) فقد وصفها قائلاً:ـ
«الكوفة قصبة جليلة. . . حسنة البناء، جليلة الاسواق، كثيرة الخيرات. . . ثم يشير الى جامعها الشهير وكيفية بنائه(٣٩).

وحذا ابن حوقل(٤٠) حذو المقدسي فوصفها كذلك قائلاً:ـ
«ومدينة الكوفة قريبة الاوصاف من البصرة وهواؤها اصح، وماؤها اعذب، وهي على الفرات، وبناؤها كبناء البصرة» ثم يشير الى بعض المشاهد الكريمة في هذه المدينة(٤١)
وبعد سنوات زار ابن بطوطة(٤٢) الكوفة فذكرها قائلاً:ـ
«وهي احدى امهات البلاد العراقية المتميزة فيها، بفضل المزية، مثوى الصحابة، والتابعين، ومنزل العلماء والصالحين، وحضرة علي بن ابي طالب امير المؤمنين وبناؤها بالأجر، واسواقها حسان، وجامعها الاعظم جامع كبير شريف بلاطه سبعة قائمة على سواري حجارة ضخمة منحوتة قد صنعت قطعاً، ووضع بعضها على بعض، وافرغت بالرصاص وهي مفرطة الطول».

وبهذا الجامع اثار كريمة(٤٣) . . الى اخر ما ذهب اليه والجدير بالذكر ان الرحالة الذين سبقوا ابن جبير او الذين جاءوا من بعده كابن بطوطة مجمعون على المعلومات التي ذكرها ابن جبير في رحلته عن هذه المدينة ـ حيث انه ذكر اثاراً عظيمة الشأن، واخباراً في غاية الاهمية عن هذه المدينة العريقة، التي بناها سعد بن ابي وقاص باشارة من امير المؤمنين عمر رضي الله عنه في سنة ١٧ هـ زد الى ذلك فالكوفة وريثة الحيرة، وحاضرة الدولة الاسلامية في خلافة الامام علي عليه السلام. وكانت في القرن الاول والثاني من الهجرة ثانية اثنين من حواضر المدن الاسلامية اعني ـ هي والبصرة ـ المدينتين اللتين كانتا تشعان علماً وثقافة الى الحواضر الاسلامية كافة. حتى جاء دور بغداد في منتصف القرن الثاني الهجري.

والكوفة الآن مدينة عامرة في بنائها، واسواقها وتنظيمها، وهي معتدلة الجو، عليلة النسيم، كثيراً ما يتخذها النجفيون متنجعا لهم. وزيادة على ما ذكر ان حكومة الثورة قد اسست فيها جامعة تسمى جامعة الكوفة، لتعيد الى هذه المدينة العريقة مكانتها العلمية السالفة ـ ومن المدن التي شاهدها ابن جبير مدينة الحلة فوصفها قائلاً:ـ

«هي مدينة كبيرة، عتيقة الوضع، مستطيلة، لم يبق من سورها الا حلق من جدار ترابي مسدير بها. وهي على شط الفرات، يتصل بها من جانبها الشرقي، ويمتد بطولها ـ ولهذه المدينة اسواق حفيلة، جامعة للمرافق المدنية، والصناعات الضرورية، وهي قوية العمارة، كثيرة الخلق، متصلة حدائق النخيل داخلاً، وخارجاً، فديارها بين حدائق النخيل. والقينا

بها جسرا عظيما معقودا على مراكب كبار، متصلة من الشط الى الشط، تحف بها من جانبها سلاسل من حديد كالاذرع المفتولة عظماً وضخامة، ترتبط الى خشب مثبتة في كلا الشطين، تدل على عظم الاستطالة والقدرة.

امر الخليفة بعقدة على الفرات اهتماما بالحاج، واعتناء بسبيلة وكانوا قبل ذلك يعبرون في المراكب. فوجدوا هذا الحسر قد عقده الخليفة في مغيبهم، ولم يكن عند شخوصهم الى مكة شرفها الله، وعبرنا الجسر... ونزلنا بشط الفرات على مقدار فرسخ من البلد. وهذا النهر كاسمه فرات هو من اعذب المياه واخفها وهو نهر كبير زخار تصعد فيه السفن وتنحدر.

والطريق من الحلة الى بغداد احسن طريق واجملها، في بساط من الارض، وعمائر تتصل بها القرى يميناً وشمالاً. ويشق هذه البسائط اغصان من ماء الفرات تتسرب بها، وتسقيها فمحرثها لاحد لاتساعه، وانفساحه، فللعين من هذه الطريق مسرح انشراح، وللنفس مراح انبساط وانفساح، والامن فيها متصل»[٤٩]

ومما لا شك فيه ان الحلة الفيحاء تقع في اقليم بابل الذي اشار اليه المسعودي[٤٩] قبل ابن جبير. فذكر ان هذا الاقليم جليل وقدره عظيم، وكانت عناية الملوك به معروفة حيث انهم كانوا يشترون بالعراق، واكثرهم يصيفون بالجبال، وينتقلون في الفصول الى الصرود من الارض والجرود. وكان اهل المروءات في الاسلام كأبي دلف[٤٩] القاسم بن عيسى العجلي وغيره يشتون في الحرور وهو في العراق، ويصيفون في الصدود وهي الجبال.

ولما خص به هذا الاقليم من كثرة مرافقه، واعتدال ارضه، وغضارة عشبه، ومادة الوافدين اليه، وهما دجلة والفرات، وعموم الامن فيه، وبعد الخوف عنه، وتوسطه الاقاليم السبعة. كانت الاوائل تشبهه من العالم بالقلب من الجسد لأن ارضه من اقاليم بابل الذي تشعبت الاراء عن اهله بحكمة الامور، كما يقع ذلك عن القلب، وبذلك اعتدلت الوان اهله، واجسامهم، فسلموا من شقرة الروم والصقالبة وسواد الحبشة، وغلظ البربر، ومن جفاف الامم واجتمعت فيه محاسن جميع الاقطار، وكما اعتدلوا في الجبلة، كذلك لطفوا في الفطنة، والتمسك بمحاسن الامور، واشرف هذا الاقليم مدينة السلام»[٤٧]

وبعد المسعودي اي في نهاية القرن الرابع تقريباً اشير في صورة الارض الى مدينة الحلة، حيث سميت حلة ابن مزيد. وهي مدينة محدثة استحدثها منصور بن مزيد الاسدي[٤٨]. في غربي الفرات، وهي مدينة منغصة بالناس، كثيرة الاسواق، دائمة الشري، والبيع، وبها مسجد جامع حسن كبير، وجبايتها ربما زادت على الف دينار.[٤٩]

فلا عجب اذا ما وصفت الحلة او بابل بهذه الاوصاف، ونعت بهذه النعوت، فقد عرفت هذه الارض المباركة اول حضارة، وثقافة في العالم، واثارها الان تدل عليها. وقد آبت حكومتنا الوطنية الا ان تعرف العالم ما لهذه الارض من حضارة، وثقافة، اسهمنا اسهاماً فعالاً في المعرفة الانسانية، ولاقطار العالم كافة، فقامت بمهرجانها الذي اسمته «مهرجان بابل الدولي» في العام الماضي فتوافد العالم الى العراق ليطلع بنفسه على اعجوبة من عجائب الدنيا المتمثلة في هذه الاثار الشاخصة في مدينة بابل.

ولا ننسى ان الحلة كانت منذ سنة ١٣٤٩[٥٠] وحتى سنة ١٨٩٧م[٥١] وما بعدها كانت تناظر مدينة النجف الاشرف في نهضتها الثقافية والعلمية، فظهر فيها الشعراء، والادباء، والعلماء الذين يشار اليهم بالبنان.

اما الحلة الان وفي ـ عهد الثورة ـ فهي مدينة حديثة متطورة في بناياتها، وعمارتها، ومستشفياتها، ومدارسها، ومعاملها الصناعية المختلفة، وفي نظامها، وتنسيق شوارعها كما ان الحلة ـ قديماً وحديثاً ـ وقد لبست ثوباً قشيباً من اشجار النخيل، واشجار الفواكه الاخرى. فهي قطعة خضراء ممرعة. زد الى ذلك جواً ممتعاً، ونسيماً معتدلاً، وهي بعد هذا وذاك متوسطة في قلب العراق الحبيب، قريبة من بغداد، والحواضر العراقية الاخرى، ككربلاء، والنجف الاشرف، والديوانية، والناصرية، وهذا يعزز مكانتها الاقتصادية، والاجتماعية، والعمرانية، لذلك فهي في ثراء ظاهر، وغنى واضح، واحوالها الاجتماعية في الوقت الحاضر تفصح عن ذلك بكل جلاء،

ونظراً لما لهذه المدينة من اهمية عظيمة لقد قررت حكومتنا الوطنية في السنة القادمة فتح كليتي الهندسة، والقانون تكونان تابعتين الى جامعة الكوفة ـ ولعل هاتين الكليتين ستكونان نواه لجامعة شاملة مانعة تقيم كليات اخرى ولمختلف الفروع.

وبعد ان وصف ابن جبير في طريقة من الحلة الى بغداد عدة قرى وارياف وصل بغداد فنعتها قائلاً:ـ

وهذه المدينة العتيقة، وان لم تزل حضرة الخلافة العباسية، ومثابة الدعوة الامامية القرشية الهاشمية[٥٠]؟

هي جانبان: شرقي وغربي ودجلة بينهما. . . وعمارة الجانب الشرقي مُحدثة. . . وهو يحتوي على سبعٍ عشرة محلة كل محلة منها مدينة مستقلة، وفي كل واحدة منها الحمامان والثلاثة. . . وفيها ثمانية جوامع ـ يصلى فيها الجمعة ـ فاكبرها جامع «القرية»[٥٢] وهي التي نزلنا فيها بربض منها يعرف «بالمربعة»[٥٣] على شط دجلة بمقربة من الجسر فحملته دجلة بمدها السيلي، فعاد الناس يعبرون بالزوارق والزوارق فيها لا تحصى كثيرة فالناس ليلاً ونهاراً من تمادي العبور فيها في نزهة متصلة رجالاً ونساء ـ والعادة ان يكون لها جسران: احدهما مما يقرب من دور الخليفة، والاخر فوقه لكثرة الناس. والعبور في الزوارق لا ينقطع فيها. ثم «الكرخ» وهي مدينة ميسورة، ثم محلة «باب البصرة»، وهي ايضاً مدينة وبها جامع المنصور رحمه الله، وهو جامع كبير عنيف البيان حفيله ـ ثم «الشارع» وهي ايضاً مدينة فهذه الاربع اكبر المحلات. وبين الشارع، ومحلة باب البصرة «سوق المارستان» وهي مدينة صغيرة فيها المارستان[٥٤] الشهير ببغداد، وهو على دجلة، وتتفقد الاطباء كل يوم اثنين وخميس ويطالعون احوال المرضى به، ويرتبون لهم اخذ ما يحتاجون اليه. وبين ايديهم قومة يتناولون طبخ الادوية والاغذية. وهو قصر كبير فيه المقاصير، والبيوت، وجميع مرافق المساكن الملوكية، والماء يدخل اليه من دجلة. واسماء سائر المحلات يطول ذكرها «كالوسيطة» وهي بين دجلة ونهر يتفرع من الفرات، وينصب في دجلة، يجيء فيه جميع المرافق التي في الجهات التي يسقيها الفرات ويشق على باب البصرة الذي ذكرنا محلته نهر اخر منه، وينصب ايضاً في دجلة.

ومن اسماء المحلات «العتابية» وبها تصنع الثياب العتابية وهي حرير وقطن مختلفات الالوان، ومنها «الحربية» وهي اعلاها وليس وراءها الا القرى الخارجية عن بغداد الى اسماء يطول ذكرها وباحدى هذه المحلات قبر ـ معروف الكرخي ـ وهو رجل من الصالحين مشهور الذكر في الاولياء. . . . وفي الجانب الغربي ايضاً ـ قبر موسى بن جعفر ـ رضي الله عنهما، الى مشاهد كثيرة ممن لم تحضرنا تسميته من الاولياء والصالحين، والسلف الكريم، رضي الله عنهم اجمعين. وباعلى الشرقية خارج البلد محلة كبيرة بازاء محلة الرصافة، وبالرصافة كان باب الطاق المشهور على الشط. وفي تلك المحلة مشهد حفيل البيان له قبة بيضاء سامية في الهواء فيه قبر الامام ـ ابي حنيفة ـ رضي الله عنه، وبه تعرف المحلة، وبالقرب من تلك المحلة، قبر الامام ـ احمد بن حنبل ـ رضي الله عنه، وفي تلك الجهة ايضاً. . . قبر ـ الحسين بن المنصور الحلاج. [٥٥] وببغداد من قبور الصالحين كثير، رضي الله عنهم. والغربية هي البساتين والحدائق، ومنها تجلب الفواكه الى الشرقية[٥٧]؟

واما الشرقية فهي اليوم دار الخلافة، وكفاها بذلك شرفاً واحتفالاً! ودور الخليفة مع اخرها، وهي تقع في نحو الربع او ازيد، لان جميع العباسيين في تلك الديار معتقلين اعتقالاً جميلاً، لا يخرجون، ولا يظهرون، ولهم المرتبات القائمة بهم، وللخليفة من تلك الديار جزء كبير، قد اتخذ فيها المناظر المشرفة، والقصور الرائقة، والبساتين الانيقة. وليس لهم اليوم وزير، انما له خديم[٥٨] يعرف بنائب الوزراء، يحضر الديوان المحتوي على اموال الخلافة، وبين يديه الكتب، فينفذ الامور، وله قيم على جميع الديار العباسية وامين على كافة الحرم الباقيات من عهد جده وابيه، وعلى جميع من تضمه الحرمة الخلافية، يعرف بالصاحب مجد الدين[٥٩] استاذ الدار، هذا لقبه، ويدعى له اثر الدعاء للخليفة، وهو قلما يظهر للعامة، اشتغالاً بما هو بسبيله من امور تلك الديار، وحراستها، والتكفل بمفالتها، وتفقدها ليلاً، ونهاراً. . .

وقد يظهر الخليفة في بعض الاحيان بدجلة راكبا في زورق، وقد يصيد في بعض الاوقات في البرية، وظهوره على حالة اختصار، تعمية لامره على العامة، فلا يزداد مع تلك التعمية الا اشتهارا. وهو مع ذلك يحب الظهور للعامة، ويؤثر التحبب لهم، وهو ميمون النقيبة عندهم قد استعدوا بايامه رخاءً، وعدلاً، وطيب عيش، فالكبير والصغير منهم داع له. ابصرنا هذا الخليفة المذكور ـ وهو ابو العباس احمد الناصر لدين الله بن المستضيء بنور الله ابي محمد الحسن بن المستجد بالله ابي المظفر يوسف، ويتصل ابي المظفر يوسف، ويتصل نسبه الى ابي الفضل جعفر المقتدر بالله[٦٠] الى السلف فوقه من اجداده الخلفاء، رضوان الله عليهم ـ بالجانب الغربي امام منظرته به،

وقد انحدرت عنها صاعداً في الزورق الى قصره باعلى الجانب الشرقي على الشط وهو في فتاء في سنة. اشقر اللحية صغيرها، كما اجتمع بها وجهه، حسن الشكل، جميل المنظر، ابيض اللون، معتدل القامة، رائق الرواء، سنه نحو الخمس وعشرين سنة، لابساً ثوباً ابيض شبه القباء برسوم ذهب فيه، وعلى راسه قلنسوة مذهبة، مطوقة بوبر اسود من الاوبار الغالية القيمة، المتخذة للباس مما هو كالفنك واشرف، معتمداً بذلك زي الاتراك، تعميمة لشأنه، لكن الشمس لا تخفى وان سُترت.

وذلك عشية يوم السبت السادس لصفر سنة ثمانين، وابصرناه ايضاً عشيّ يوم الاحد بعده متطلعاً من منظرته المذكورة بالشط الغربي، وكنا نسكن بمقربة منها.

والشرقية حفيلة بالاسواق، عظيمة الترتيب، تشتمل من الخلق على بشر لايحصيهم الا الله تعالى، الذي احصى كل شيْ عددا. وبها من الجوامع ثلاثة، كلٌ يجمع فيها جامع الخليفة متصل بداره، وهو جامع كبير، وفيه سقايات عظيمة، ومرافق كثيرة كاملة، مرافق الوضوء، والطهور، وجامع السلطان وهو خارج البلد. . . . ، وجامع الرصافة، وهو على الجانب الشرقي المذكور، والرصافة تربة الخلفاء العباسيين رحمهم الله. فجميع جوامع البلد ببغداد المجمع فيها احد عشر.

واما حماماتها فلا تحصى عدةً، ذكر لنا احد اشياخ البلد انها بين الشرقية والغربية نحو الالفي حمام، واكثرها مطلية بالقار مسطحة به، فيخيل للناظر انه رخام اسود صقيل. وحمامات هذه الجهات اكثرها على هذه الصفة لكثرة القار عندهم، لان شأنه عجيب، يجلب من عين بين البصرة والكوفة، وقد انبط[٦٤] الله ماء هذه العين ليتولد منه القار، فهو يصير في جوانبها كالصلصال[٦٥] فيجرف ويجلب وقد انعقد، فسبحان خالق ما يشاء، لاالهَ سواه. واما المساجد بالشرقية والغربية، فلا ياخذها التقدير فضلاً عن الاحصاء ـ والمدارس بها نحو الثلاثين، وهي كلها بالشرقية، وما منها مدرسة وهي يقصر القصر البديع عنها ـ واعظمها واشهرها النظامية وهي التي ابتناها نظام الملك،[٦٦] وجددت سنة اربع وخمس مئة، ولهذه المدارس اوقاف عظيمة، وعقارات مُحبّسة، تنصير الى الفقهاء المدرسين بها، ويجرون بها على الطلبة ما يقوم بهم، ولهذه البلاد في امر هذه المدارس والمارستانات شرف عظيم، وفخر مخلد، فرحم الله واصفها الاول، ورحم من تبع ذلك السنن الصالح. وللشرقية اربعة ابواب: فاولها وهو في اعلى الشط، باب السلطان، ثم باب الظفرية ثم يليه باب الحلبة، ثم البصلية ـ هذه الابواب التي هي في السور المحيط بها، من اعلى الشط الى اسفله، هو ينعطف عليها كنصفه دائرة مستطيلة. وداخله في الاسواق ابواب كثيرة. وبالجملة فشان هذه البلدة اعظم من ان يوصف»[٦٧]

وقد وصف ابن جبير كذلك مجالس الوعظ في بغداد فقال:ـ

«فاول من شاهدنا ـ مجلس ـ الشيخ الامام رضي الدين القزويني[٦٨] رئيس الشافعية، وفقيه المدرسة النظامية. . . حضرنا مجلسه بالمدرسة المذكورة. فصعد المنبر، واخذ القراء امامه في القراءة على كراسي موضوعة، فتوقوا وتشوقوا. ثم اندفع الشيخ الامام المذكور، فخطب خطبة سكون، ووقار، وتصرف في افانين من العلوم، من تفسير كتاب الله عز وجل، وايراد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتكلم معانيه. ثم رشقته شابيب المسائل من كل جانب، فاجاب وما قصر، وتقدم وما تاخر. . . فكان مجلسه مجلس علم، ووعظ، وقوراً، هيناً ليناً، ظهرت فيه البركة، والسكينة ولم تقتصر عن ارسال عبرتها فيه النفس المسكينة، ولا سيما آخر مجلسه، فانه سرت حياً وعظه الى النفوس، حتى اطاراتها خشوعاً، وفجرتها دموعاً . . . فبمثل مقام هذا الشيخ المبارك ترحم العصاة، وتتغمد الجناة، وتستدام، والنجاة، والله تعالى يجازي كل ذي مقام عن مقامه، انه المنعم الكريم، لارب سواه، ولا معبود الا اياه»[٦٩]

لقد اعطى ابن جبير صورة ناطقة حية عن الحياة الثقافية والدينية في بغداد صاغها باسلوبه الذي يمتاز بنفحة ادبية ممتازة.

ووصف مجلس ابن الجوزي[٧٠] على نهر دجلة كذلك فقال: «ثم شاهدنا مجلس الشيخ الفقيه، الامام الاوحد جمال الدين ابي الفضائل بن علي الجوزي بازاء داره على الشط، بالجانب الشرقي، وفي اخره، على اتصال من قصور الخليفة، وبمقربة من باب البصلية اخر ابواب الجانب الشرقي، وهو مجلس به كل يوم سبت، فشاهدنا مجلس رجل ليس من عمرو، ولا زيد وفي جوف الفرا كل الصيد[٧١] آية الزمان، وقرة عين الايمان، رئيس الحنبلية، والمخصوص في العلوم بالرتب العلمية، امام الجماعة، وفارس حلبة هذه الصناعة، والمشهود له بالسبق الكريم، في البلاغة والبراعة مالك ازمة الكلام في النظم، والنثر، والغائص في بحر فكره على نفائس الدر، فاما نظمه فرضي الطباع، مهياري الانطباع[٧٢] واما نثره فبصدع بسحر

البيان، ويعطل المثل بنفس، وسبحان ومن ابهر اياته، واكبر معجزاته بصعد المنبر، ويبتدىء القراء بالقرآن، وعددهم ينيف على العشرين قارئاً. فينتزع الاثنان منهم او الثلاثة آية من القراء، يتلونها على نسق، بتطريب وتشويق، فاذا فرغوا، تلت طائفة اخرى على عددهم آية ثانية، ولا يزالون آيات من سور مختلفات، الى ان يتكاملو قراءة، وقد اتوا بايات مشتبهات لا يكاد المنفد الخاطر بحصلها عددا، او يسميها نسقاً. فاذا فرغوا اخذ هذا الامام الغريب الشان في ايراد خطبته عجلاً مبتدراً، وافرغ في اصداف الاسماع من الفاظه دراً، وانتظم اوائل الايات المقروءات في اثناء خطبته فقراً، واتى بها على نسق القراءة لها لا مقدماً، ولا مؤخراً. ثم اكمل الخطبة على قافية اخر اية منها، فلو ان ابرع من في مجلسه تكلف تسمية ما قرأ القراء ايةً ايةً على الترتيب، لعجز عن ذلك. فكيف بمن ينتظمها مرتجلاً، ويورد الخطبة الغراء، بها عجلاً.

«افسحرٌ هذا ام انتم لا تبصرون»[٧٠] «ان هذا لهو الفضلُ المبين»،[٧١] فحدث ولا حرج عن البحر، وهيهات، ليس الخبر عنه كالخبر! ثم انه اتى بعد ان فرغ من خطبته برقائق من الوعظ، وآيات بينات من الذكر، طارت لها القلوب اشتياقاً، وذابت بها الانفس احتراقاً، الى ان علا الضجيج، وتردد بشهقاته النشيج، واعلى النائبون بالصياح... وفهم من يغشى عليه فيرفع في الاذرع اليه. فشاهدنا هولاً يملأ النفوس انابة وندامة، ويذكرنا هول يوم القيامة، فلو لم نركب ثبج[٧٢] البحر، ونعتسف مفازات القفر، الا لمشاهدة مجلس من مجالس هذا الرجل، لكانت الصفقة الرابحة، والوجهة المفلحة الناجحة، والحمد لله على ان مَنَّ بلقاء من يشهد الجمادات بفضله، ويضيق الوجود عن مثله. وفي اثناء مجلسه ذلك يبتدرون المسائل، وتطير اليه الرقاع، فيجاوب اسرع من طرفة عين. وربما كان اكثر مجلسه الرائق من نتائج تلك المسائل - والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، لا اله سواه». [٧٣]

ان مثل هذه المجالس العامرة بالوعظ، والارشاد، تعطي دلالة واضحة، لما للخلفاء العباسيين من ايادٍ بيضاء في تعظيم شعائر الدين، ونشر الفضيلة، واقامة صروح العدل التي يبنى عليها اساس الملك، فيستقر الامان في النفوس، فيتكامل المجتمع، ويتضامن في ظل من الرخاء، والطمأنينة.

وسبق ابن جبير اليعقوبي في وصفه لبغداد قائلاً:-

«وانما ابتدات بالعراق لانها وسط الدنيا، وسرة الارض وذكرت بغداد لانها وسط العراق، والمدينة العظمى التي ليس لها نظير في مشارق الارض، ومغاربها، سعة، وكبراً، وعمارة، وكثرة مياه، وصحة وهواء، ولانه سكنها من اصناف الناس، واهل الامصار، والكور، انتقل اليها من جميع البلدان القاصية، والدانية، وآثرها جميع اهل الآفاق على اوطانهم، فليس من اهل الا ولهم فيها محلة ومتجر، ومتصرف فاجتمع بها ما ليس في مدينة في الدنيا». [٧٤]

وقد سبقت الاشارة الى قول المسعودي في وصف اقليم بابل عندما يقول عن بغداد «واشرف هذا الاقليم مدينة السلام». [٧٥] وقد اكدّ معلومات اليعقوبي عن بغداد الاصطخري[٧٦] في وصفه لهذه المدينة كذلك.

اما المقدسي فوصف بغداد قائلاً:-

«بغداد في مصر الاسلام، وبها مدينة السلام. ولهم الخصائص، والطرافة، والقرائح واللطافة، هواء رقيق، وعلم دقيق، كل جيد بها، وكل حسن فيها، وكل حاذق منها، وكل ظرف لها، وكل قلب اليها... وكل ذب عنها، هي اشهر من ان توصف، واحسن من ان تنعت، واعلى من ان تمدح». [٧٧] وحذا حذو المقدسي في وصف بغداد ابن حوقل في كتابه صورة الارض، [٧٨] وقد أيدّ اوصاف الرحالين الذين سبقوه عن هذه المدينة وبعد سنين خلت اتى ابن بطوطة. ووصف بغداد[٧٩] واحوالها واكد المعلومات التي ذكرها ابن جبير في رحلته، وذكر بعض الشعراء الذي تغنوا ببغداد حيث قالوا:-[٨٠]

طيبُ الهواءِ ببغداد يشوقني ... قرباً اليها وان عاقت مقاديرُ
وكيف ارحل عنها اليوم اذ جمعت ... طيب الهواءين: ممدوح ومقصورُ

وقالوا ايضاً:-

سلامٌ على بغداد في كل موطنٍ ... وَحُقَّ لها مني السلام المضاعفُ
فالله ما فارقتها فن قلى لها ... واني بشطي جانبيها لعارف
وكانت كخلٍ كنت اهوى دنوه ... واخلاقهُ تنأى به وتخالفُ[٨١]

ومهما قيل عن بغداد، فبغداد في عصورها الذهبية كانت بغداد تشرئب اليها الانظار. وبعدئذ لحق بغداد عبر العصور التاريخية حيف لا سيما في القرن السابع اي سنة ٦٥٦ هـ بعد سقوط الدولة العباسية وهجوم التتر عليها. غير ان بغداد ظلت

كالشمس وان حجبها الغمام طوراً من الزمن. غير انها سرعان ما تشرق، وتخرج من هذا الحجاب، لترسل اشعتها الذهبية الى العالم كافة.

اما بغداد اليوم وفي ـ عصر حكومتنا الوطنية ـ وكما نراها فهي ترفل بثيابها الفشيبة، حيث ارست اقدامها قوية وراحت منطلقة في مضمار الثقافة، والحضارة، لتلتحق بالركب العالمي، وتسهم في تطور الحياة البشرية. حتى اصبحت الان من المدن الحديثة المتطورة التي يشار اليها بالبنان.

وستظل بغداد عنوان العراق، ورمز العروبة، وحاضرة الاسلام والى الابد.

لقد غادر ابن جبير بغداد مواصلاً رحلته حتى وصل الى سامراء فوصفها قائلاً:ـ

«ونزلنا مع الصباح من يوم الخميس الثامن عشر لصفر على شط دجلة بمقربة من حصن يعرف «بالمعشوق»(٨٣) يقال انه كان متفرجاً لزبيدة ابنة عم الرشيد وزوجه رحمه الله. وعلى قبالة هذا الموضع في الشط الشرقي مدينة «سَرَّ مَنْ رأى». وهي اليوم عبرة من رأى: أين معتصمها، وواثقها، ومتوكلها؟! مدينة كبيرة قد استولى الخراب عليها، الا بعض الجهات منها هي اليوم معمورة. وقد اطنب المسعودي رحمه الله في وصفها، ووصف طيب هوائها ورائق حسنها، وهي كما وصف، وان لم يبق الا الاثر من محاسنها، والله وارث الارض ومن عليها».

ومن المفارقات ان ابن جبير لم يصف ملويتها بل قل انه لم يذكرها في رحلته اطلاقاً. وهي ـ الى الان. . ما دامت شامخة في سامراء تطاول السماء سمواً، وارتفاعاً وهي تحكي للاجيال الصاعدة قصة هؤلاء الاجداد الذين ارسوا قواعد حضارة عريقة في هذه المدينة عرفها العالم كله. وقد اطنب اليعقوبي(٨٤) في وصفها، حتى يكاد هذا الوصف يكون اهم مصدر يعول عليه لتفصيلات هذه المدينة التي تعد المدينة الثانية بعد بغداد عند خلفاء بني العباس، لانهم اتخذوها عاصمة لسلطان خلافتهم.

اما الاصطخري فوصف سامراء قائلاً:ـ

«وهي مدينة اسلامية ابتداها المعتصم واستتم بناءها المتوكل. . . وهواؤها، وثمارها اصح من بغداد». (٨٥)

وقال المقدسي في وصف سامراء:ـ

«سامراء كانت مصراً عظيماً، ومستقراً للخلفاء في القديم. . . ولها جامع كبير كان يختار على جامع دمشق، قد لبست حيطانه بالمينا، وجعلت فيه اساطين الرخام، وفرش به، وله منارة طويلة، وامور متقنة. وكانت بلداً جليلاً». (٨٦) الى اخر ما ذهب اليه.

وناظره في هذا الوصف ابن حوقل. (٨٧)

اما سامراء اليوم فهي مدينة عامرة في تطور مستمر، وقد اسست حكومتنا الوطنية فيها معملاً ضخماً للادوية يكاد يمول المدن العراقية كافة.

اما جوها فممتع، ونسيمها فعليل حتى كاد البغداديون يتخذونها مصيفاً او قل متكأ للراحة والاستجمام، يقضون في فندقها السياحي اوقات عطلهم. زد الى ذلك ان سامراء فيها مرقدا الامامين العسكريين. لذلك ياتي اليها الزوار من كل حدب وصوب. هذه القدسية جعلتها من المدن المهمة في العراق، فضلاً عن ماضيها المشرف الذي اشرت اليه بشيْ من الاقتضاب.

لقد غادر ابن جبير سامراء مستمراً في رحلته حتى وصل مدينة تكريت فوصفها قائلاً:ـ

«وهي مدينة كبيرة، واسعة الارجاء، فسيحة الساحة حفيلة الاسواق، كثيرة المساجد، غاصة بالخلق اهلها احسن اخلاقاً وقسطاً في الموازين. . . . . ودجلة منها في جوها. ولها قلعة حصينة على الشط، هي قصبتها المنيعة ويطيف بالبلد سور، قد اثر الوهن فيه. وهي من المدن العتيقة المذكورة». (٨٨)

ومن دراستي المتواضعة لادب الرحلات بدا لي ان مدينة تكريت مدينة عريقة في القدم. فقد ذكرها ابن خرداذبة في ثلاثة مواضع في كتابه المسالك والممالك. (٨٩)

كما ان المقدسي اشار اليها فذكر ان مدينة تكريت مدينة كبيرة، تشتهر بزراعة السمسم، وصناعة الصوف. (٩٠) اما ابن حوقل فقد ذكر ان مدينة تكريت تقع على نهر دجلة وانه على الدجلة بها عقد جسر آجر يعبر عليه ايام المياطلة. (٩١) وادركت اثراً من ذلك يشهد له في سني نيف وعشرين وثلثمائة. (٩٢)

وبعد سنين زارها ابن بطوطة. (٩٣) واكد المعلومات التي ذكرها ابن جبير عن هذه المدينة. اما مدينة تكريت الان وقد اسمتها حكومة الثورة ب «محافظة صلاح الدين» فقد بدأ التطور على هذه المدينة القديمة ملحوظاً في شوارعها، وفي ابنيتها، وفي تنظيمها، وقد قررت حكومتنا الوطنية فتح كلية التربية للبنات فيها، املين ان شاء الله ان تكون هذه الكلية نواة لجامعة عامرة

تضم كل الفروع.

ومدينة «محافضة صلاح الدين» تعد مدينة مهمة لأنها ترتبط بسامراء، وبغداد من ناحية، وبالموصل، وتركيا من ناحية اخرى. فموقعها الجغرافي ساعدها على انتعاش الحركة التجارية الدائبة فيها. زد الى ما اتسمت به هذه المدينة العريقة من سمات اشرت اليها في هذا المقتضب.

وهكذا واصل ابن جبير رحلته حتى وصل الى مدينة الموصل فوصفها قائلاً:-

«هذه المدينة عرتيقة ضخمة، حصينة فخمة، قد طالت صحبتها للزمن، فاخذت اهبة استعدادها لحوادث الفتن، قد كادت ابراجها تلتقي انتظاماً، لقرب مسافة بعضها من بعض، وباطن الداخل منها بيوت، بعضها على بعض، مستديرة بجداره المطيف بالبلد كله، كأنه قد تمكن فتحها فيه لغلظ بنيته، وسعة وضعه، وللمقاتلة في هذه البيوت حرز ووقاية. وهي من المرافق الحربية. وفي اعلى البلد قلعة عظيمة، قد رُصَّ بناؤها رصاً، ينتظمها سور عتيق البنية، مشيد البروج، وتتصل بها دور السلطان - وقد فصل بينها وبين البلد شارع متسع، يمتد من اعلى البلد الى اسفله. ودجلة شرقي البلد، وهي متصلة بالسور، وابراجه في مائها.

وللبلدة ربض كبير، فيه المساجد، والحمامات، والاسواق، واحدث فيه بعض امراء البلدة - وكان يعرف بمجاهد الدين - جامعاً على شط دجلة، ما أرى وضع جامع احفل منه، بناء يقصر الوصف عنه، وعن تزيينه، وترتيبه، وكل ذلك نقش في الاجر. واما مقصورته فتذكر بمقاصير الجنة، ويطيف به شبابيك حديد، تتصل بها مصاطب تشرف على دجلة لامقعد اشرف منها، ولا احسن، ووصفه يطول، وانما وقع الالماع بالبعض، جرياً الى الاختصار، وامامه مارستان حفيل، من بناء مجاهد الدين المذكور.

وبنى ايضاً داخل البلد، وفي سوقه، قيساوية للتجار كأنها الخان العظيم، تنغلق عليها ابواب حديد، وتطيف بها دكاكين وبيوت، بعضها على بعض، قد جلي ذلك كله في اعظم صورة في البناء المزخرف، الذي لا مثيل له. فما ارى في البلاد قيساوية تعدلها. وللمدينة جامعان:

احدهما جديد، والاخر من عهد بني امية، وفي صحن هذا الجامع فيه، داخلها سارية رخام قائمة، قد خلخل جيدها بخمسة خلاخل مفتولة فتل السوار من جرم رخامها، وفي اعلاها خُصَّة رخام مثمنة، يخرج عليها انبوب من الماء، خروج انزعاج وشدة، فيرتفع في الهواء ازيد من القامة كانه قضيب من البلور معتدل، ثم ينعكس الى اسفل القبة. ويجمع في هذين الجامعين القديم، والحديث، ويجمع ايضاً في جامع الربض. وفي المدينة مدارس للعلم نحو الست او ازيد على دجلة، فتلوح كانها القصور المشرفة. ولها مارستان حاشا الذي ذكرناه في الربض.

وخص الله هذه البلدة بتربة مقدسة فيها «مشهد جرجيس صلى الله عليه وسلم»، وقد بني فيه مسجد وقبره في زاوية من احد بيوت المسجد، عن يمين الداخل اليه، وهذا المسجد هو بين الجامع الجديد وباب الجسر، يجده المار الى الجامع من باب الجسر عن يساره. فتبركنا بزيارة هذا القبر المقدس، والوقوف عنده. نفعنا الله بذلك.

ومما خص الله به هذه البلدة، ان في الشرق منها، اذا عبرت دجلة على نحوالميل، «تل التوبة» وهو التل الذي وقف به يونس عليه السلام بقومه، ودعا ودعوا حتى كشف الله عنهم العذاب. وبمقربة منه على قدر الميل ايضاً العين المباركة المنسوبة اليه، ويقال: انه امر قومه بالتطهر فيها واظمار التوبة ثم صعدوا على التل داعين وفي هذا بناء عظيم، هو رباط يشتمل على بيوت كثيرة، ومقاصر ومطاهر، وسقايات، يضم الجميع باب واحد، في وسط ذلك البناء بيت ينسدل عليه ستر، وينقلق دونه باب كريم مرصع كله، يقال: انه كان الموضع الذي وقف فيه يونس صلى الله عليه وسلم. ومحراب هذا البيت يقال: انه كان بيته الذي كان يتعبد فيه. ويطيف بهذا البيت شمع كانه جذوع النخل عضماً. فيخرج الناس الى هذا الرباط كل ليلة جمعة، ويتعبدون فيه وحول هذا الرباط قرى كثيرة ويتصل بها خراب عظيم، يقال: انه كان مدينة «نينوى» وهي مدينة يونس عليه السلام.

واثر السور المحيط بهذه المدينة ظاهر، وفُرج الأبواب فيه بينة، وأكوام أبرجه مُشرفة. بتنا بهذا الرباط المبارك ليلة الجمعة السادس والعشرين لصفر، ثم صبحنا العين المباركة، وشربنا من مائها، وتطهرنا فيها، وصلينا في المسجد المتصل بها، والله ينفع بالنية في ذلك بمنه، وكرمه. واهل هذه البلدة على طريقة حسنة، يستعملون اعمال البر، فلا تلقى منهم إلاّ ذا وجه طَلْق، وكلمة

لينة، ولهم كرامة للغرباء، واقبال عليهم، وعندهم اعتدال في جميع معاملاتهم ـ فكان مقامنا في هذه البلدة اربعة ايام.»[٩٣]

ومن الرحالين الذين سبقوا ابن جبير ابن خرداذبة فقد ذكر الموصل في كتابه المسالك والممالك في عدة مواضع[٩٤]بيّن فيها المسافات بينها، وبين المدن الاخرى التي ترتبط بهذه المدينة الاثرية. ومن طريف ما قال عنها:ـ

«ومن اقام بالموصل حملاً وجد في قوته فضلاً بيناً، ولعل في هذا القول اصالة، وربما ينم عن حقيقة ثابتة، لان موقع الموصل، وصفاء جوها، واعتدال مناخها، وطيب نسيمها العليل هذه امور تطرب لها النفس، وتنعش الجسم صحة وعافية.

اما الاصطخري فقال عنها:ـ

«واما مدينة الموصل فهي مدينة على غربي دجلة، صحيحة التربة، والهواء، ليس لهم سوى ماء دجلة للشفة[٩٦]. . وهي مدينة عامة ابنيتها بالجص والحجارة، كبيرة غناء.»[٩٧]

اما المقدسي فقد تحدث عن مدينة الموصل،[٩٨]وذكر تلك المواضع الاثرية في مدينة نينوى التي اشار اليها ابن جبير بعدئذ.

وقال المقدسي عنها: «واما ديار ربيعة فقصبتها الموصل. ومن مدنها الحديثة، وسنجار[٩٩]..».

اما ابن حوقل فقد اطنب في وصف الموصل حتى قال:ـ

«فمن ذلك رستاق[١٠٠]نينوى وكانت به مدينة في سالف الزمان تجاه الموصل من الجانب الشرقي من دجلة اثارها بينه، واحوالها ظاهرة، وسورها مشاهد، وكانت البلدة التي بعث الله تعالى الى اهلها يونس بن متى عليه السلام.»[١٠١]

وقال في موضع آخر:ـ

«وكان بالموصل في وسط دجلة مطاحن تعرف «بالعُروب يقل نظيرها في كثير من الارض، لأنها قائمة في وسط ماء شديد الجرية موثقه بسلاسل الحديد، في كل عربة منها اربعة احجار، ويطحن كل حجرين في اليوم، والليلة خمسين وقْراً»[١٠٢]وهذه العروب من الخشب، والحديد، وربما دخل فيها شيء من الساج.»[١٠٣]

وبعد سنوات خلت زار ابن بطوطة مدينة الموصل وحدث عنها حديثاً ممتعاً حتى قال:ـ

وهي مدينة عتيقة، كثيرة الخصب، وقلعتها المعروفة بالحدباء عظيمة الشأن شهيرة الامتناع.»[١٠٤]وكرر المعلومات التي ذكرها ابن جبير، واثنى على اهل الموصل قائلاً:ـ

«واهل الموصل لهم مكارم اخلاق، ولين كلام، وفضيلة ومحبة في الغريب واقبال عليه. . .»[١٠٥]وبعد ان استقريت اوصاف الرحالين لمدينة الموصل وجدتها مجمعة على المعالم الاصيلة لهذه المدينة العريقة، وتربتها الطيبة، وارضها المباركة ففيها مراقد الانبياء والصالحين التي اضفت على هذه المدينة غلالة من البر والتقوى.

اما اهلها فيمتازون بتفتح اذهانهم، وتوقد عقولهم، فهم قد صنعوا مطاحن ووضعوها في وسط دجلة، وسخروها لخدمة الناس، في حين ان الآلة قد عزت في تلك الحقب القديمة.

اما الموصل الآن فهي نضرة كنضرة ارضها الخضراء، وباسمة كابتسام ازهارها. وهي المحافظة الاولى في قطرنا الحبيب. فراحت تختال زهواً في بناياتها، وعماراتها، ومستشفياتها، وتنظيم شوارعها، فهي تعد من المدن الحديثة المتطورة، وذلك لما فيها من دور العلم، ومعاهد التدريس، فجامعتها العتيدة المشتملة على جميع الفروع العلمية قد اخذت مكانتها بين الجامعات العراقية.

الحق ان الموصل، ومانتمتع به من جو منعش، وماانشيء فيها في عهد الثورة من المصانف، تعدُّ متنجعاً للعراقيين صيفاً وشتاءً.

هذه اهم المدن التي زارها ابن جبير في العراق، التي اسلفت ذكرها في هذا البحث المتواضع.

الهوامش والمصادر

(١) شذونة: مدينة من مدن الاندلس مائلة الى القبلة/معجم البلدان بيروت دار صادر ١٩٧٥. باب الشين والذال ومايليهما.

(٢) بلنسية: مدينة مشهورة بالاندلس. تقع شرقي قرطبة/معجم البلدان باب الباء والام ومايليهما.

(٣) شاطبة: مدينة في شرقي الاندلس. وشرقي قرطبة/معجم البلدان باب الشين والالف ومايليهما.

(٤) جيّان: مدينة واسعة بالاندلس/معجم البلدان. باب الجيم والياء ومايليهما.

(٥) سبته: مدينة لطيفة من مدن المغرب، وموقعها على البحر، وفيها البساتين،

وماؤها عذب. انظر/صورة الارض لابن حوقل، بيروت، د . ت ٧٩.

(٦) مالقة: مدينة في الاندلس عامرة تقع على ساحل البحر/معجم البلدان باب الميم والألف وما يليهما

(٧) الذيل والتكملة السفر الخامس. القسم الثاني لابي عبد الله محمد الانصاري الاوسي المراكشي ثم د. احسان عباس، بيروت، ١٩٦٥، ص ٥٩٦.

(٨) مجلة التراث الانسانية المجلد الاول السنة الثالثة ابن جبير بحث للدكتور حسين نصار، القاهرة ١٩٦٣ ص ٢٣٧

(٩) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، للمقري تم د. احسان عباس، دار الصادر ١٩٦٨ ٢/٣٨٢

(١٠) الذيل والتكملة، السفر الخامس ٢/٥٩٦

(١١) مجلة التراث الانسانية المجلد الاول السنة الثالثة ص ٢٣٧.

(١٢) الاحاطة في اخبار غرناطة للسان الدين ابن الخطيب تح محمد عبد الله عنان، القاهرة ط ٢، ١٩٧٣ ٢/٢٣٢

(١٣) المصدر نفسه ٢/٢٣٣

(١٤) مجلة التراث الانسانية المجلد الاول السنة الثالثة ص ٢٣٨

(١٥) الذيل والتكملة السفر الخامس، الجزء الثاني ص ٦٠٧، وانظر الاحاطة في اخبار غرناطة ٢/٢٣٢ - ٢٣٣

(١٦) الذيل والتكملة السفر الخامس القسم الثاني ص ٦١٧

(١٧) الاحاطة في اخبار غرناطة ٢/٢٣١، ٢٣٤

(١٨) نفح الطيب ٢/٤٨٨

(١٩) تاريخ الفكر الاندلسي لبالنثيا ترجمة د. حسين مؤنس، القاهرة ط ١، النهضة المصرية ١٩٥٥، ص ٣١٧.

(٢٠) المجلة السلفية. السنة الاولى، الجزء الخامس ص ١٠٨ مصر. مطبعة النهضة ١٩١٧م.

(٢١) التكملة لكتاب الصلة لابن الابار، تحقيق عزة العطار، القاهرة ١٩٥٦م، ٢/٥٩٨.

(٢٢) الذيل والتكملة ص ٥٩٦

(٢٣) الفتح ٢/٣٨٢

(٢٤) انظر الفتح ٢/٣٨٢

(٢٥) الذيل والتكملة ص ٦٢١

(٢٦) انظر الاحاطة في اخبار غرناطة ٢/٢٣٢

(٢٧) مجلة التراث الانسانية المجلد الاول ص ٢٤١ - ٢٤٥

(٢٨) رحلة ابن جبير تم د. حسين نصار، القاهرة، ١٣٧٤ هـ/١٩٥٥م، ص ٣٣٨ - ٣٣٩.

(٢٩) انظر صفة مسجد رسول الله (ﷺ) في رحلة ابن جبير ص١٧٥-١٨١.

(٣٠) اشار الى الآيتين الكريمتين: «حتى اذا جاء امرنا وفار التنور، قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين، واهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن، وما آمن معه الا قليل». انظر سورة هود ١١/- ٤ -، وقوله تعالى:- «فأوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا، ووحينا، فاذا جاء امرنا، وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين، واهلك الا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون» انظر سورة المؤمنين ٢٣/٢٧ . (٣١) انظر رحلة ابن جبير ص ١٩٧ - ١٩٩.

(٣٢) اليعقوبي: هو احمد بن ابي يعقوب بن واضح الكاتب المعروف باليعقوبي، توفي سنة ٢٨٤ هـ.

(٣٣) انظر كتاب بلدان لاحمد بن واضح اليعقوبي ط ٣، النجف، ١٣٧٧ هـ/١٩٥٧م، ص ٦٩ - ٧٢.

(٣٤) ابن خرداذبة:- هو ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله المعروف بابن خرداذبة، ابريل ١٨٨٩ م.

(٣٥) انظر المسالك والممالك ص٩٩، ١٢٥، ١٢٩، ١٥٥، ١٨٥، ١٩٠

(٣٦) الاصطخري: ابو اسحاق ابراهيم بن محمد المعروف بالاصطخري توفي سنة ٣٥٠ هـ.

(٣٧) انظر المسالك والممالك ص ٥٨ للاصطخري تح محمد جابر عبد العال الحسيني

(٣٨) المقدسي: هو محمد بن احمد بن ابي بكر البناء المتوفى سنة ٣٨٠ هـ.

(٣٩) انظر احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ص ١١٦ - ١١٧ للمقدسي المعروف بالبشاري، ليدن، مطبعة بريل، ١٩٠٩م.

(٤٠) ابن حوقل: هو محمد بن حوقل البغدادي الموصلي المتوفى في حدود ٣٨٠ هـ.

(٤١) انظر صورة الارض ٢١٥

(٤٢) ابن بطوطة: هو ابو عبد الله محمد بن ابراهيم اللواتي. المعروف بابن بطوطة المتوفى سنة ٧٧٩ هـ

(٤٣) انظر رحلة ابن بطوطة ص ٢١٩. بيروت دار صادر، ١٣٨٤ هـ/ ١٩٦٤ م.

(٤٤) انظر رحلة ابن جبير ص ١٩٧ - ١٩٩

(٤٥) المسعودي: هو علي بن الحسن بن علي بن عبد الله من ذرية الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود، لذلك لقب بالمسعودي توفي سنة ٣٤٦ هـ.

(٤٦) ابو دلف: القاسم بن عيسى بن ادريس بن معقل من بني عجل. امير الكرخ، وسيد قومه، واحد الامراء الاجواد الشجعان الشعراء، توفي سنة ٢٢٦ هـ. انظر ترجمة في الاغاني لابي الفرج الاصفهاني، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب، ٨/٢٢٨. وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي، بيروت بدون تاريخ ١٢/٤١٦.

(٤٧) مروج الذهب للمسعودي تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد القاهرة ١٣٨٧ هـ/١٩٦٧ م، ١/٣٧٤ - ٣٧٥.

(٤٨) منصور بن مزبد الاسدي: هو منصور بن دبيس بن علي بن مزيد الاسدي. امير الحلة. وبادية العراق. انظر ترجمه في/الكامل ١٠/٥١ لابن الاثير، وتاريخ ابن خلدون ٤/٢٨٠ بيروت.

(٤٩) رصورة الارض ص ٢١٩.

(٥٠) اشارة الى وفاة - صفي الدين الحلي الشاعر المعروف. انظر ترجمته في الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة لشهاب الدين ابي الفضل المشهور بابن حجر العسقلاني، حيدر آباد الركن، ط ٢، ١٩٧٢، ٢/٣٦٩، ونوات الوفيات لمحمد أبن شاكر الكتبي تحقيق د. احسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٩٧٤، ٢/٣٣٥.

(٥١) اشارة وفاة سيد جعفر الحلي وهو شاعر معروف ب «ديوانه سجع البلابل» مطبوع. انظر ترجمته في البابليات لمحمد علي اليعقوبي ١/١٨٠، معجم المطبوعات العربية والمعربة ليوسف اليان سركيس، مصر، ١٣٤٦ هـ/١٩٢٨ م/٦٩٩.

(٥٢) انظر رحلة ابن جبير ص ٢٠٣.

(٥٣) رأس القرية: ما دامت هذه المحلة تعرف بهذا الاسم حتى الان وهي في

شارع الرشيد بالقرب من دجلة.

(٥٤) المربعة: هذه المحلة ما دامت تعرف بهذا الاسم حتى الآن وهي من المحلات المشهورة في شارع الرشيد وبالقرب من دجلة كذلك.

(٥٥) المارستان: المصحة او المستشفى. انظر/المعجم الوسيط ٢/ ٨٧٠ مادة «مرس».

(٥٦) بعد فيلسوفاً تارة. وفي زمرة المتعبدين تارة له ديوان شعر مطبوع انظر ترجمته في/الفهرست ص ٢٦٩، والبداية والنهاية لابن كثير، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٥١ هـ. ١١/ ١٣٢.

(٥٧) انظر رحلة ابن جبير ص ٢١٣.

(٥٨) خديم: اي الخادم.

(٥٩) الصاحب مجد الدين: هو ابو الفتح بن الصاحب تولى منصبه سنة ٥٧٥ - ٥٨٣ هـ. لم اجد له غير هذا التعريف وهو تعريف المحقق نفسه. انظر/ رحلة ابن جبير ص ٢١٣ هامش (٢)

(٦٠) خليفة عباس ولد سنة ٥٥٣ هـ وتوفي سنة ٦٢٢ هـ دامت خلافته ٤٩ سنة. انظر ترجمته في/الكامل في التاريخ ١١/ ١٧٣، ومختصر تاريخ الدول ٤٢١، والسلوك ١/ ٢١٧ للمقريزي.

الفنك: حيوان فروته اطيب انواع الفراء واشرفها.

(٦١) انبط: البئر اذا استخرج الحضار ماءها، والاستنباط: الاستخراج. انظر/ اللسان لابن منظور، القاهرة، طبعة مصورة عن طبعة بولاق مادة «نبط» ٩/ ٢٨٧

(٦٢) السلسال: الطين الحر خلط بالرمل فصار يتسلسل اذا جف فاذا طبخ بالنار فهو الفخار. انظر/ اللسان مادة «سلل» ١٣/ ٤٠٦

(٦٣) نظام الملك: هو الحسن بن علي بن اسحاق، وزير حازم عالي الهمة، توفي سنة ٤٨٥ هـ. انظر ترجمة في / وفيات الاعيان لابن خلكان، تم د. احسان عباس، بيروت، دار الثقافة ١٩٦٨. ١/ ١٤٣ والكامل في التاريخ ١٠/ ٧٠

(٦٤) انظر رحلة ابن جبير ص ٢١٣ - ٢١٦

(٦٥) رضي الدين الزوبني: هو ابو الحسين احمد بن اسماعيل الطالقاني كان اماماً في مذهب الشافعية، والخلاف، والاصول، والتفسير، والوعظ، والزهد، ولد ٥١٢، او ٥١١، وتوفي سنة ٥٩٠ هـ. انظر ترجمة/ في طبقات الشافعية ٤/ ٣٥، وشذرات الذهب في اخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي للسبكي، تح محمود محمد الطناحي، وعبدالفتاح محمد الحلو، القاهرة، ط ١٣٤ هـ/ ١٩٦٥م القاهرة، مكتبة القدسي، هـ/ ٤/ ٣٠٠.

(٦٦) انظر الرحلة ص ٢٠٦

(٦٧) ابن الجوزي: هو ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي. القرشي البغدادي. كان علامة عصره، وامام وقته في الحديث والوعظ، وصنف في فنون كثيرة ولد سنة ٥٠٨ او ٥١٠، وتوفي سنة ٥٩٧ هـ. انظر ترجمته/ في وفيات الاعيان ١/ ٢٧٩.

(٦٨) الفرا: الحمار الوحشي. وهذا مثل يريديه ان ابن الجوزي لامثيل له.

(٦٩) رضي الطباع. شبيه في طبيعة بالشريف الرضي الشاعر المشهور، ومهياري شبيه بمهيار الديلمي الشاعر ايضاً.

(٧٠) سورة الطور ٥٢/ ١٥

(٧١) سورة النحل ٢٧/ ١٦

(٧٢) فيح: كل شيء معظمه، ووسطه، واعلاه، والجمع اتباح وتبوح - انظر/اللسان مادة «فيح» ٣/ ٤٢

(٧٣) انظر رحلة ابن جبير ص ٢٠٨

(٧٤) كتاب البلدان ص ٣-٢١

(٧٥) انظر مروج الذهب ١/ ٣٧٤

(٧٦) انظر وصف بغداد في المسالك والممالك ص ٥٨ - ٦٠ للاصطخري

(٧٧) انظر احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ص ١١٩

(٧٨) انظر وصف بغداد في صورة الارض ص ٢١٥ - ٢١٨

(٧٩) انظر وصف بغداد في رحلة ابن بطوطة ص ٢٢١

(٨٠) الذي قال هذه الابيات: هو القاضي عبد الوهاب بن علي بن نصير الخلعي له نظم، ومعرفة بالادب انظر ترجمته في/ فوات الوفيات ٢/ ٤١٩، وشذرات الذهب ٣/ ٢٢٣.

(٨١) انظر رحلة ابن بطوطة ص ٢٢٢.

(٨٢) «حصن المشوق» ما دامت اثاره ماثلة قرب مدينة سامراء.

(٨٣) انظر وصف سامراء في كتاب البلدان ص ٢١ - ٣٣.

(٨٤) انظر المسالك والممالك ص ٦٠ للاصطخري.

(٨٥) انظر احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ص ١٢٢

(٨٦) انظر صورة الارض ص ٢١٨

(٨٧) انظر رحلة ابن جبير ص ٢١٩

(٨٨) انظر المسالك والممالك ص ٩٤، ٢٤٥، ٢٥٠ لابن خرداذبة

(٨٩) انظر احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ص ١٢٣.

(٩٠) المباطلة: اقوام اسيوية من اراسط «صغوليا» وقيل هم اقوام تركية منغولية، وصلوا الى هذه الديار.

(٩١) انظر صورة الارض ص ٢١٩

(٩٢) انظر رحلة ابن بطوطة ص ٢٣٤

(٩٣) انظر رحلة ابن جبير ص ٢٢١ - ٢٢٣.

(٩٤) انظر المسالك والممالك ص ١٧، ٩٣، ٩٥، ٩٧٠، ٢١٤، ٢٢٧، ٢٣٢، ٢٤٥، ٢٥١ لابن خرداذبة.

(٩٥) المصدر نفسه ص ١٧٠

(٩٦) الشفة: معنى الشرب.

(٩٧) انظر المسالك والممالك ص ٥٣ للاصطخري.

(٩٨) انظر احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ص ١٣٦.

(٩٩) المصدر نفسه ص ١٣٧

(١٠٠) رستاق: وجمعه رساتيق كل موضع فيه مزارع، وقرى. انظر/ معجم البلدان. الباب الثالث. تفسير الالفاظ.

(١٠١) انظر صورة الارض ص ١٩٦

(١٠٢) الوقر: جمعه اوقار وهو الحمل الثقيل. انظر/اللسان مادة «وقر» ٧/ ١٥٢

(١٠٣) انظر صورة الارض ص ١٩٨.

(١٠٤) انظر رحلة ابن بطوطة ص ٢٣٥.

(١٠٥) المصدر نفسه ص ٢٣٦